

ألف حكاية وحكاية (٧٣)

منقار لا يفتت الخبز الجاف

وحكايات أخرى

تأليف

يعقوب الشاروني



رسوم

عادل البطراوي

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي
الغجالة - القاهرة

تحت مظلة المطعم المصنوعة من سعف النخيل ، وقفنا نتناول
إفطارنا ، قبل أن نتطلق إلى مياه شاطئ المدينة الساحلية ، التي
أطلقوا عليها اسم " مدينة المياه الصافية " . وهي حقاً مهداً مياه على
طول شواطئ شبه جزيرة فلوريدا ، التي تمتد آلاف الكيلومترات .
ومن فوق النجيل الذي يغطي الحديقة حولنا ، اقترب طائر
رشيق ، يرفع رأسه في اعتداد ، ويخطو بساقيه الرفيعتين على مهل .
وتطلع إلينا وهو يمدّ نحونا منقاره الطويل . وفيهنا أنه يطلب
مشاركتنا الطعام ، فلقيناه إليه قطعة كبيرة من الخبز المحمص
(التوست) .

وفي خطوات ذكرّنتي براقصات الباليه ، اقترب الطائر من
قطعة الخبز ، والتقطها بمنقاره ، لكنه اكتشف صلابتها ، فأعادها إلى
الأرض ، وظل ينقرها ، فلم تنفت . وهكذا تأكد أنها أكبر وأكثر
صلابة من الأسماك التي اعتاد أن يتعامل معها بمنقاره .
وتوقفت أن يترك تلك اللقمة غير المناسبة ، وهو ما يفعله عادة
غيره من الطيور . لكن هذا الطائر أمسك بمنقاره طرف قطعة الخبز
الجاف الكبيرة ، وانطلق يخطو بها بعيداً عنا .

وراقبتُه في دهشةٍ ، وأنا أتأملُ عمّا سيفعلُ بها .
وبعدَ لحظاتٍ ، وجدتهُ يُغطسُ منقارَهُ وبه الخبزُ ، في حفرةٍ
صغيرةٍ امتلأتُ بالماءِ الذي يروى الحديقة .
ثم رفعَ قطعةَ الخبزِ بعدَ لحظاتٍ وقد أصبحتُ لينةً ، فاستطاعَ أن
يفتتها بسهولةٍ بطرفِ منقارِهِ ، ثم تناولها قطعةً بعدَ أخرى ، حتى لم
يَبقَ من الفتاتِ شيءٌ !!





في زيارة لمدينة بولونيا بإيطاليا ، ذهبت زميلة تشتري زوجاً من الأحذية لابنها الصغير . وفي المحل الصغير الأنيق ، قابلتها بائعة فائقة الجمال تُجيد اللغة الإنجليزية التي تعرفها الزميلة جيداً ، لكنها كانت صارمة الملامح ، وجهها لا يعرف الابتسام . وعندما طلبت الزميلة مشاهدة نوع بعد آخر من الأحذية ، ظهر الضيق على وجه البائعة ، ثم تشاغلت عنها بزبون آخر .

وغيضت الزميلة ، واعتزمت الخروج بغير أن تشتري شيئاً . وعند الباب ، قابلتها بائعة أخرى .. لا .. بل قابلتها ابتسامة رقيقة .. ابتسامة في العينين وعلى الشفتين ، وتماذ الوجه كله .. لم تكن جميلة الملامح ، ولا تعرف إلا اللغة الإيطالية التي تجهلها الزميلة تماماً ، لكن هذه الابتسامة أعادت زميلتنا إلى داخل المحل .

وتقدّمت البائعةُ صاحبةُ الابتسامةِ من الرميّلةِ ، تسألُها بالإيطاليةِ
عن طلبِها . وفي الحالِ تبدّدَ غضبُ الرميّلةِ . ورغمَ حاجزِ اللغةِ ، تمّ
التفاهيمُ . وأشارت الرميّلةُ إلى نافذةِ العرضِ ، تحدّدُ ما تُريدُ .
وبعدَ نصفِ ساعةٍ ، كانت قد اشترتْ لابينها ثلاثة أزواجٍ من
الأحذيةِ ، لا زوجًا واحدًا !!



لعبة توازن فوق البطة الهزازة

استقرت البطة الخشبية فوق " ياي " من الحديد القوي الملتف حلزونياً ، ليجلس عليها صغار الأطفال ، يتمتعون باللعب في أمان ، واللعبة تهتز بهم في رفق إلى الخلف وإلى الأمام .

مطار استكهولم

عزقة
بشرة الأطفال



واقتربت صبية في الثامنة من عمرها ، وقد أعجبتها اللعبة التي وجدتُها في القاعة الخاصة بأنشطة الأطفال في مطار استكهولم الدولي . وفي نفس الوقت وجدتُ أن اللعب بها أقلُّ كثيرًا من مستوى سنها . ومع ذلك رأيتها تتقدّم ناحية اللعبة .

وبدلاً من أن تجلسَ عليها ، بدأتُ في محاولة الوقوف فوقها . وكلما حاولتُ ، زاد الاهتزاز ، وتزايد خطر السقوط . وبعد عدة محاولات ، وقفت الصبية مبتسمة في انتصار ، وقد فردت ذراعيها عن آخرهما ، لتحفظ توازنها فوق تلك القاعدة المتهترة .

وأعجبتها لعبة التوازن ، فبدأت تضغطُ بقدميها ليزداد الاهتزاز ، فازداد تمايلها ، وزاد مجهودها لحفظ توازنها . لكن عندما أصبح الاهتزاز أقوى مما تستطيع احتماله ، فقزت ضاحكة إلى الأرض .

ولم أكن وحدي الذي شاهدتُ تلك المحاولة ، لذلك سرعان ما كان هناك طابور من الأطفال ، كلُّ واحدٍ منهم يحاول اختبار مدى قدرته على حفظ توازنه لأطول وقتٍ ممكنٍ فوق تلك البطة الهزازة ، التي ابتكروا لأنفسهم أسلوب لعب عليها ، لعلهُ لم يخطر أبداً على فكر من ابتكرها .



حمام سباحة في حجم كرة القدم

حفرة صغيرة وسط نجيل أخضر ، يقترش حديقة القرية السياحية على أحد شواطئ ميامي بفلوريدا الأمريكية .. الحفرة يصب فيها أنبوب الماء العذب الذي يروى الحديقة .
وحول حافة الحفرة ، وقف ثلاثة عصافير متوسطة الحجم ، مدّ كل منها منقاره وشرب .

ثم قفز أولها وسط الماء القليل الذي يملأ الحفرة ، وغطس ، ثم ظهر على سطح الماء ، ونفض ريشه . ثم عاود الغطس والاستحمام ، ونفض الماء ، بينما زميلاه يرقبانه . وأخيراً قفز مُتعباً إلى حافة الحفرة .

بعده قفز زميله الطائر الثاني ، واستمتع بحمامه في بحيرة الماء الصغيرة جداً ، والتي لا تتسع إلا لطائر واحد ، ونفض ريشه ثلاث مرات ، ثم قفز نشيطاً إلى الشاطئ .

وبعدها نزل الثالث ليأخذ دوره سعيداً بالماء الدافئ . ثم انطلقت الطيور الثلاثة تحلق طائرة معاً .



سألت نفسي : " كيف اتفقت هذه العصافير الثلاثة على هذا النظام الدقيق في الاستمتاع بالاستحمام واحداً بعد الآخر ، لا يزاحم أحداً زميله ، وكل منهم ينتظر دوره ؟ وكيف أدركت منذ البداية ، أنه إذا زاحم أحدهم الآخر ، فلن يستمتع أي واحد منهم بالاستحمام في البحيرة التي لا يزيد حجمها عن حجم كرة القدم ؟ "

ست ساعات في مطار

طفل في الثالثة وطفلة في الخامسة ، تطلبُ منهما أمهما مراتٍ مُتعدِّدةً أن يجلسا بجوارها ، لكنها تكتشفُ في كلِّ مرةٍ ، بعدَ لحظةٍ واحدةٍ ، أنهما انطلقا يجريان بين مقاعد المسافرين ، في إحدى قاعات الانتظار بمطار استكهولم الكبير .

كانت أمامها ستُ ساعات انتظار طويلة ، قبل أن يحين موعدُ الطائرة التي ستسافرُ بها إلى أمريكا ، بعد أن وصلت من مصر منذُ ساعة . وظهرَ عليها الضيقُ ، لكثرة ما طارَدَت الصغيرتين في الممرات وبين المقاعد وحول أرجل المسافرين .



واقتربت منها فتاةٌ رشيقَةٌ ، ترتدى زيَّ المُضيفات الأرضيات العاملات بالمطار ، وقالتُ لها في ابتسامةٍ رقيقةٍ : " لماذا لا تذهبينَ بهما إلى غرفةِ أنشطة الأطفال ؟ "

ثم أشارتُ إلى بابٍ حولهَ رسومٌ جذابةٌ لأطفالٍ يلعبون ،

وقالتُ : " إنها هناك . "

وأمسكت الأمُ مابدى طفلها ، وانطلقت مُسرعةً الى غرفة
١ " أنشطة الأطفال " .

واندفع الصبيُّ الى لوحة حصراء مُعلقة على الجدار ، أمامها
رفٌّ به قطعٌ من الألوان المختلفة ، وانطلق يرسمُ
أما الطفلةُ ، فتلفتُ سُلماً من درجتين ، لتفلق عسى
' الرحيقة ' المحدودة الارضاع .

ومى حولهم ، رائتُ عشرات الاعمال برسوم ، أو يسون
اليوب بقطع المكعبات أو ياهدون افلام الاتصال على شاشة
تسمرون كبيرة ، أو يتحكمون في آلات كمبيوتر تعمل بفرد لمس
الأصابع للشاشة .

وهكذا احسَّت الامُ احرا بالراحة



عندما تلتصق بالمقعد !!

ماذا تفعل إذا وجدت نفسك قد التصفت في مقعدٍ جلست عليه ، بسبب قطعة " لمان " ، تحبص منها شخص آخر ؟ هذا هو السؤال الذي واجه المسؤولين في إحدى شركات الطيران الأمريكية الشهيرة .

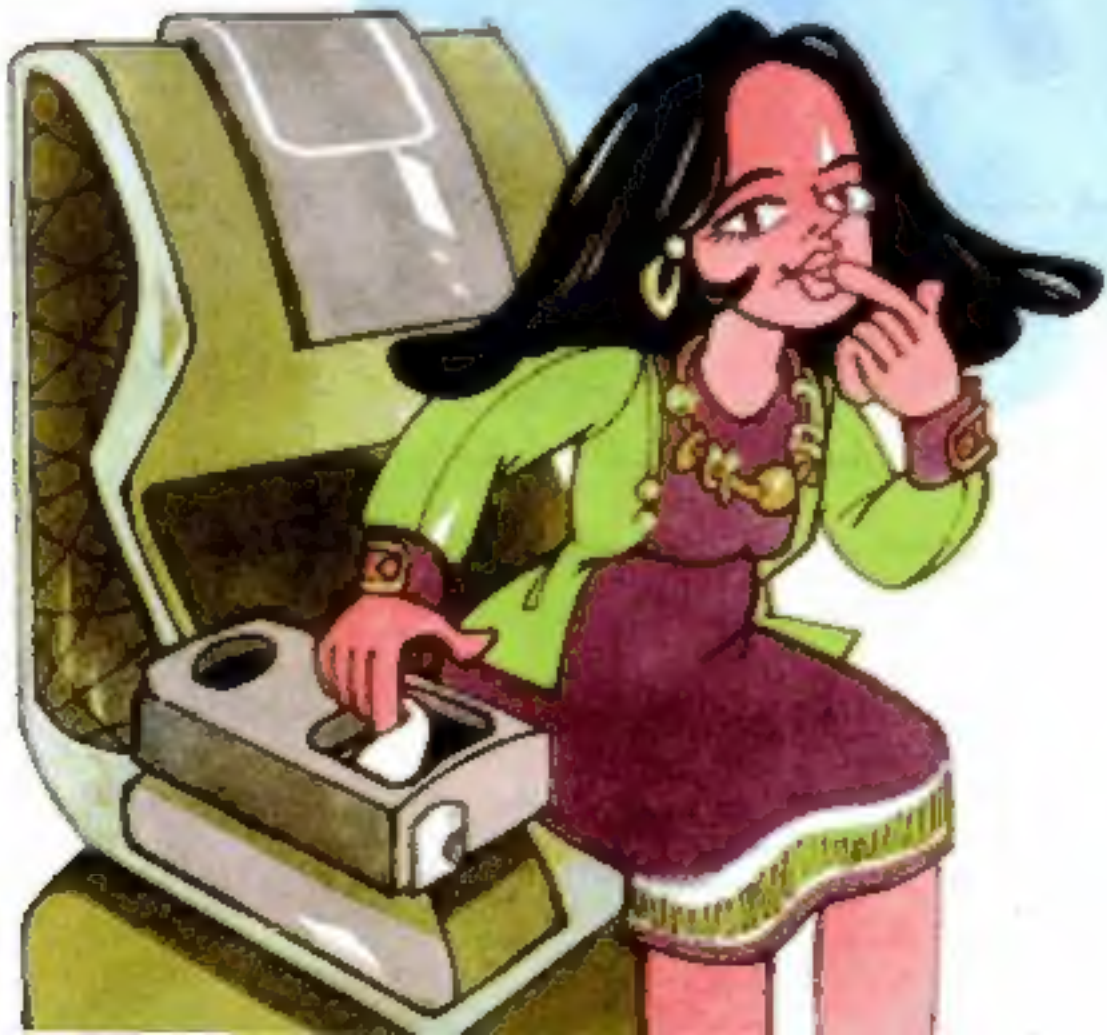


لذلك لجأت إلى الخبراء الذين يستطيعون حل هذه المشكلة .. لقد ذهبت إلى الأطفال .

وفي إحدى المدارس الابتدائية ، طرحت على التلاميذ السؤال التالي : " هل تستطيع اخراص وسيلة ، تجعل الناس يتوقفون عن لصق قطع اللمان أسفل مقاعهم داخل الطائرات ؟ "

وتوصل صبيٌ عمره ١١ سنةً إلى الحل الذي فاز بالجائزة الأولى . لقد اقترح إعداد مكانٍ في ذراع المقعد ، يسحب منه الراكب قطعة قماشٍ رقيقة ، يلفُ بها قطعة اللبان ، ثم يضع اللقافة في ثقبٍ صغيرٍ مجاور ، كأنه صندوقُ قمامةٍ صغير الحجم . وقال المخترع الصغير : " إن من يرتكبون الخطأ ، يفعلون ذلك لأنهم لا يعرفون ماذا يفعلون بقطع اللبان التي يريدون التخلص منها . "

وقد " التصق " حلُّ الصبي بخطط شركة الطيران ، التي تبحث الآن إمكانية تنفيذه في طائراتها .



رؤية جديدة لأشياء قديمة : أنا حر !!



سأل الشاطر أمين ، جدّة الحكيم عبد المعين : " سمعتك تقول
إن الإنسان حرٌ ، لكنني حاولتُ أن أسير بسرعة الحصان ، فلم
أستطع .. أنا غيرُ حرٍّ في أن أجرى بالسرعة التي أريدها !! "
ضحك الجدُّ ، وأجاب : " لكنَّ عقل الإنسان اخترع السيارة
والقطار ، فاستطاع الإنسان أن يسير أسرع من أي حيوان ظهر على
الأرض !! "

قال الحفيدُ : " وحاولتُ أن أسمع أخى صوتي من بعيدٍ ولنحن
نلعبُ على شاطئ البحر ، فلم يصلْ إلي أبعد من عشرات الأمتار
القليلة .. إذن أنا غيرُ حرٍّ في أن أجعل صوتي يصلُ إلى الناس ! "

ضحك الجدُّ ثانيةً ، وقال : " عقلُ الإنسانِ اخترعَ التليفونَ والإذاعةَ والتليفزيونَ ، وأصبحَ من المُمْكِن أن يصلَ صوتُكَ ، وأن تصلَ صورتُكَ أيضًا ، إلى كلِّ مكانٍ في الدنيا . "

وعادَ الحفيدُ يقولُ : " وحاولتُ أن أقفِرَ عاليًا في الهواءِ ، فلم أستطعَ الابتعادَ عن الأرضِ إلا مسافةً بسيطةً ، بينما أصغرُ عصفُورٍ يرتفعُ بسهولةٍ شديدةٍ عاليًا في الهواءِ !! "



قال الجدُّ : " عقلُ الإنسانِ الحرَّ اخترعَ الطائرةَ ، فاستطاعَ أن يطيرَ بها على ارتفاعٍ لم يبلغه أيُّ طائرٍ ظهرَ على وجهِ الأرضِ . "

وأضافَ الجدُّ : " لقد استطاعَ عقلُ الإنسانِ ، عن طريقِ العلمِ ، أن يجعلَ الإنسانَ حرًّا ، يملكُ من القدراتِ ما يفوقُ كلَّ ما تملكهُ الكائناتُ الأخرى على الأرضِ . "

لا تأتوا عندي !!

اجتمعت الأنهار مع البحر ، وأخذت تشكو منه وتعاتبه قائلة :
لماذا نصب فيك ماءنا العذب الحلو ، فتجعله مالحة لا يستطيع إنسان
أن يتذوقه ؟

فلما رأى البحر أن الأنهار تُلقي اللوم عليه ، قال : " إذن لا
تصبوا ماءكم عندي ، فلا تتحول مياهكم إلى ملح لا يجبه أحد !! "
ولما كانت الأنهار لا تعرف طريقة للتخلص من الماء الفائض
لديها إلا عن طريق صبه في البحر ، فقد استمرت تصب مياهها فيه .
بعد أن كثفت عن العتاب والشكوى !!

